

الوظيفة الجمالية والتربوية للخطاب الساخر في كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة متوسط

The aesthetic and educational function of ironic discourse in the Arabic
language book for the fourth year of middle school

شفيفة بن الشارف* (1)

جامعة محمد خيضر - بسكرة، (الجزائر)

chafika.bencharef@univ-biskra.dz

تاريخ النشر: 2026-06-09	تاريخ القبول: 2026-06-05	تاريخ الإرسال: 2024-09-08
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى الوقوف على ما يكتنزه الخطاب الساخر في كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة متوسط، كون الخطاب يستهدف متعة فنية وأخرى تربوية، ينقلها للمتعلم بأسلوب فكاهي ساخر على وضع اجتماعي قلب موازين النسيج الاجتماعي، فرضته أوضاع سياسية واقتصادية انعكست على أخلاقيات وسلوكيات الأفراد، فبات الخطاب وسيلة لعلاج تلك القضايا، يقم فيها المتعلم في جو من المتعة القصصية، التي تميز فنّ المقامة، ليعيش أحداثه ويستقي رؤية جديدة للظواهر التي تهزّ أركان المجتمع وتقوّض استقرار الأفراد.

إنّ خطاب (الضحية والمحتال) يجمع بين الفكاهة والواقعية، وهو يسعى لفضح ظاهرة النصب والاحتيال دونما إثارة لأسباب الظاهرة، ليقف المتعلم في حدود قدرات التخيل والتحليل على فهم محتوى الخطاب، واكتشاف جمالياته الفنية واستنباط أبعاده التربوية، يتعرّف من خلاله على فنّ المقامة كفنّ أدبي جديد يطرق به عالم الإبداع الأدبي الهادف.

الكلمات المفتاحية: السخرية، المقامة، القيم الجمالية، القيم التربوية.

Abstract:

* المؤلف المرسل: شفيفة بن الشارف

This research paper seeks to study the ironic discourse in the Arabic language book for the fourth year in The Middle School, since that discourse targets artistic and educational pleasure. It conveys it to the learner in a humorous style that is angry at a social situation that has disturbed the balance of the social harmony, imposed by political and economic conditions that have been reflected in the ethics and behaviours of individuals. So, the discourse has become a means of treating these issues, in which the learner is put into an atmosphere of narrative pleasure, which distinguishes the art of Maqāma, to live its events and draw a new vision of the phenomena that shake the foundations of society and undermine the stability of individuals.

The discourse of (the victim and the fraudster) combines humour and realism, and seeks to expose the phenomenon of fraud and deception without raising the causes of the phenomenon. So, the learner stands within the limits of the capabilities of imagination and analysis to understand the content of the discourse, discover its aesthetics and deduce its educational dimensions. The learner enters the world of purposeful creativity literature through the art of Maqāma as a new literary art.

Keywords: irony, Maqāma, aesthetic values, educational values.

مقدمة:

يزخر كتاب اللغة العربية الموجّه لتلاميذ السنة الرابعة من التعليم المتوسط بمجموعة من النصوص القرائية الموزّعة على ثمانية مقاطع تعليمية، التي يتّصل كلّ واحد منها بمجال معرفي أو ثقافي محدّد، وهو يسعى إلى تنويع الأجناس الأدبية بين القديم والحديث نثراً وشعراً، لطرح عديد القضايا ذات الصّلة بالمجتمع، ومن بين الأجناس الأدبية التي نجدها على صفحات الكتاب "فنّ المقامة"، والذي يهتمّ بطرح قضية اجتماعية "التسوّل" بأسلوب ساخر، باستحضار مجموعة من البنيات القصصية التي تعتمد على اختيار شخصيات مناسبة للحدث، والتي تتمتّع بمجموعة من الخصائص النفسية، ممّا يمنح النصّ متعة قرائية ويبلغ مقاصده الفنية ويحقق قيمة تربوية لدى المتعلّم.

إنّ تطعيم كتاب اللغة العربية بنصوص من الأدب القديم، يضع بين يدي المتعلّم صنوفاً مختلفة من النصوص، تتنوّع بين متعة السرد وجمالية اللغة، وهو ما يجعل المتعلّم يكتشف أنّ سلاح السخرية والفكاهة يمكنه أن يكون أفضل سبيل لعلاج المشكلات التي تهدم النسيج الاجتماعي.

أهمية البحث:

لقد انبثق عن سلسلة إصلاح مناهج التعليم في مرحلة التعليم المتوسط، والذي بدّته الوزارة الوصية ابتداء من الموسم 2016-2017، ما يُعرف بمناهج (الجيل الثاني)، التي تراعي في صياغة المحتوى التعليمي مجموعة من المعايير كالتنوّع والوظيفية، لذلك تأخذ في الحسبان تعريف المتعلّم بصنوف النثر والشعر قديمها وحديثها، ليكتسب مجموعة من المهارات؛ المعرفية، والانفعالية، واللغوية، التي تمكّنه من بلوغ كفاءات المنهاج في جميع ميادين تعليمية اللغة العربية، وذلك بإنتاج نصوص ذات صلة بالنصوص المقرّوة، ولعلّ فنّ المقامة بخصائصه الفنية والجمالية تشجيع للمتعلم على إنتاج/ إبداع نصوص سردية ووصفية، يستقيها من المقرّوء، مما يمكنه من البناء القصصي الهادف بأسلوب تطبعه السّخرية.

مشكلة البحث:

انبثقت مباحث الدّراسة من مشكلة جوهرية تمّت صياغتها كالتالي: ماهي الوظيفة الجمالية والتربوية للخطاب الساخر على كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة متوسط؟، وقد تفرّعت عنها مجموعة من التساؤلات، ومنها:

- ما المقصود بالأدب الساخر؟
- ما علاقة المقامة بالسخرية؟
- ماهي المكتنزات الفنية والتربوية للخطاب الساخر؟
- هل يؤدّي الخطاب الساخر في كتاب اللغة العربية وظيفته الإبداعية والتربوية؟

منهج البحث:

اعتمد البحث اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يهدف إلى الدراسة العلمية والموضوعية لظاهرة ما كما هي في الواقع، لتحديد العوامل المؤثرة عليها، وهو منهج يساعد على تحليل بنية الخطاب الساخر "الضحية والمحتال" على كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة متوسط، للوقوف على خصائصه الفنية وقيمه التربوية.

يجب أن تحتوي مقدمة المقال على تمهيد مناسب للموضوع، ثم طرح لإشكالية البحث ووضع الفرضيات المناسبة، بالإضافة إلى تحديد أهداف البحث ومنهجيته.

1. الأدب الساخر؛ المصطلح والدلالة:

1.1 تعريف السخرية: (The Irony)

ورد مفهوم "السخرية" في معجم "اللسان" قوله: "سَخَرَ مِنْهُ وَبِهِ سَخَرًا، وَسَخَرًا وَمَسَخَرًا وَسَخَرًا، بِالضَّمِّ، وَسُخْرَةً وَسِخْرِيًّا وَسُخْرِيًّا وَسُخْرِيَّةً: هَزَأَ بِهِ [...] وَالسُّخْرَةُ الصُّحْكَةُ، وَرَجُلٌ سُخْرَةٌ: يَسَخَرُ بِالنَّاسِ، وَفِي التَّهْذِيبِ: يَسَخَرُ مِنَ النَّاسِ، وَسُخْرَةٌ يُسَخَرُ مِنْهُ [...] وَالسُّخْرِيُّ بِالضَّمِّ، وَالسِّخْرِيُّ بِالْكَسْرِ مِنَ الْهَزْءِ. وَقَدْ يُقَالُ فِي الْهَزْءِ: سِخْرِي وَسُخْرِيٌّ [...] وَأَمَّا مِنَ السُّخْرَةِ فَوَاحِدُهُ مَضْمُومٌ. وَقَوْلُهُ: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُ سَخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾، فَهُوَ سِخْرِيًّا مِنْ سَخَرَ، وَالضَّمُّ أَجُودُ. قَالَ أَبُو زَيْدٍ: سِخْرِيًّا مِنْ سَخَرَ إِذَا اسْتَهْزَأَ.¹

وجاء في "المقاييس" في مادة (سخر) قوله: "السَّخَرُ والخاء والراء أصل مطرد مستقيم يدلّ على احتقار واستدلال ومن ذلك قولنا سَخَّرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الشيء، وذلك إذا دُلَّه لأمره وإرادته [...] ويُقال رجلٌ سُخْرَةٌ: يُسَخَّرُ في العمل، وسُخْرَةٌ أيضاً إذا كان يُسَخَّرُ منه [...] ومن الباب سَخِرْتُ منه إذا هَزِنْتُ به، وفي كتاب الله تعالى: ﴿فَإِنَّا نَسْخَرُهُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾²

[illegible]

وما يمكننا استخلاصه من التعريفات اللغوية السابقة؛ أنّ المعاجم العربية تجمع على أنّ "السّخرية" لها معنى يتعلّق بالإذلال والهُزء والاحتقار، وهو من السلوكيات غير المحمودة، التي تشيع بين الناس عموماً والنساء خصوصاً، وهو ما عبّرت عنه صراحة الآية الكريمة في قوله تعالى:

•◆ ☎✂◻↱◊✂✂◆↗ ◆✕↔↯🔔⤴✍🌀✂ 🌀◻&🌀⑨◻🔔⬚◆③🔔
 ②◻📖 ✂✂🔔②◆↱ 🌀✂↗◻◊🔔 Ⅱ↯✂🌀 ⤴↗◻◊🔔 ↗②🔔②↔◻④
 🔔↗✍🌀🔔○↯🔔 •◆◻ ↗🔔↯&↗🔔↯✂ ✂✂③↗②🔔🔔 ☎✂◻↙🔔◻↗🔔◆③
 ✂✂③↗②🔔🔔 ○Ⅱ↗🔔◆③ ②◻📖 ✂✂🔔②◆↱ 🔔↗✍🌀🔔○↯◻🔔 Ⅱ↯✂🌀
 [الحجرات/11]

2.1 تعريف الأدب الساخر:

إن حاجة الفرد للتعبير عما يملكه من أفكار وعواطف، وما يواجهه من مشكلات تتداخل فيها ظروفه المختلفة، يمكنه أن ينقله بأسلوب أدبي جاد أو ساخر يتمكن به من الوصول إلى غايته، والسخرية كاتجاه في الكتابة تعني أن الأديب يتميز بـ "خفة الظل، وبقربه إلى نفوس القراء [...]" أديب ساخر، وقد يوصف الأسلوب بأنه أسلوب ساخر.⁴ وتتطلب السخرية في الأديب الساخر الطبيعة المرحية والخبرة النقدية الواسعة، بحيث يقدم على معالجة المشكلة بالضحك. وفي ذلك تسرية عن هموم النفس وآلامها بطريقة مسالمة غير فاضحة.

والأدب الساخر هو "توليفة درامية من النقد والهزاء، والتلميح، والمآحية، والتهمك، والدعابة، وذلك بهدف التعريض بشخص ما أو مبدأ أو فكرة وتعريضه بإلقاء الأضواء على الثغرات والسلبيات وأوجه القصور فيه."⁵ إنه نتاج فكري يتخذ من السخرية أسلوباً علاجياً أو تصحيحياً لبعض الظواهر أو الأفكار، ليعيد الأمور إلى نصابها ويُنزلها منازلها الطبيعية، وهو ليس تعليقاً سطحياً عابراً عنها، بل يسعى لاستئصال كل ما يقوّض سكينته وتوازن المجتمعات.

2. المقامة وأدب السخرية:

السخرية أسلوب تعبيرى عن الواقع بكل مفارقاته، وأجملها ما اتسم بالأدبية، لأنها سمة تعطي للأديب فرصة عرض المتناقضات في المجتمع، وتتبع سلوك أفراد بطريقتهم فنية تصبغهم بصفة المتحدث الرسمي على لسان المجتمع، وتمنحه الضوء الأخضر لنقد الخروقات السلوكية والقيم والعادات والأعراف التي تشيع بين الأفراد.

والمقامة فن أدبي لا ينفصل عن "أدب السخرية" له من المقومات والخصائص التي تجعله أهلاً لنقل رسالة وطرح قضية ما ذات أبعاد تربوية، وقد نالت المقامة اهتماماً كبيراً، فجاءت لها تعريفات كثيرة.

1.2 المقامة بين الوضع اللغوي والمعنى الاصطلاحي:

المقامة في أصل اللغة، كالمقام، اسم لموضع القيام، ثم اتسع المفهوم وأستعملت للمجلس والقوم المجتمعين. ووفي ذلك ورد في "اللسان" في مادة (قوم) قوله: "المقام والمقامة: الموضع الذي تُقيم فيه، والمقامة بالضم والمقامة بالفتح المجلس والجماعة من الناس."⁶

وعليه؛ فإن المقامة في مفهومها اللغوي تعني موضع القيام، وتوسّع المفهوم ليعني المجلس أو المجلس الذي يلتقي فيه الناس للبحث في أحاديث مختلفة. وأما المقامة اصطلاحاً فهي:

-"قصة قصيرة تروي خبراً نامياً في ذاته عن بطل محتال في لحظة من لحظات حياته."⁷

- "نوع من القصص الأدبية القصيرة، تعتمد على الخيال في تأليف حوادثها، وتهدف إلى تعليم اللغة أو سرد الموعظة، أو وصف الأشياء، أو إبراز المقدرة على صفة البديع واشتقاقها من القيام.⁸"

- "حكايات قصيرة تشتمل كل واحدة منها على حادثة لا تستغرق غالباً أكثر من مقامة (جلسة)، وتنتهي بعظة أو ملحّة. ولحسن الديباجة وأناقة الأسلوب فيها المقام الأوّل.⁹"

- "حديث أدبي بليغ، وهي أدنى إلى الحيلة منها إلى القصّة، فليس فيها من القصّة إلّا ظاهر فقط، وأمّا في حقيقتها فحيلة يُطرفنا بها بديع الزمان وغيره لنطّلع من جهة على حادثة معيّنة، ومن جهة على أساليب أنيقة ممتازة.¹⁰"

- "قصة قصيرة بطلها نموذج إنسانيّ مُكّد ومتسوّل، لها راوٍ وبطل، تقوم على حدث ظريف، مغزاه مفارقة أدبية، أو مسألة دينية، أو مغامرة مضحكة، تحمل في داخلها لونا من ألوان النّقد، أو الثّورة، أو السّخرية وُضعت في إطار الصّناعة اللّفظية والبلاغية.¹¹"

ومن خلال استقراء التعريفات السابقة، يمكننا القول بأنّ "المقامة": هي قصّة قصيرة عن بطل محتال، تتضمّن حدثاً واحداً يُروى في مجلس، تعتمد الخيال في تأليفها، وحسن الصياغة والعرض، لبلوغ غايات فنية وأخرى تربوية، وقد برع في هذا الفنّ الأدبيّ العديد من الأدباء، نذكر منهم: ابن فارس، بديع الزمان الهمذاني، ابن دريد، السيوطي، الحريري... وغيرهم.

2.2 الخصائص الفنية للمقامة:

تتميّز المقامة في جانبها الفنيّ بمجموعة من الخصائص التي تتقاطع فيها بفنّ القصّة، لكنها تنفرد بخصائصها التي تميّزها، ومنها:¹²

- أنّها تدور في الغالب على حادث عاديّ واحد يتكرّر في جميع مقامات المؤلّف، فالبطل واحد، يبدو للراوي متنكّراً ثمّ يكون بينهما حوار في موضوع ما، وأخيراً يعرفه الراوي.

- تقوم عباراتها على الصّناعة البديعية من سجع وجناس وازدواج وطباق ومبالغات واستعارات وعلى الإغراب اللغويّ.

- تجمع المقامات إلى النثر البديعيّ قطعاً من الرّجز وغيره.

وقد ذكر "شوقي ضيف" خصائص المقامة في كتابه (المقامة)، وهي تتنوّع بين الخصائص الشكلية والفنية، نجلها كالتالي:¹³

- المقامة حديث أدبيّ بليغ.

- ظاهرها قصّة وحقيقتها حيلة للطّرفة.

- تحتوي على أساليب أنيقة، تهدف إلى غاية تعليمية.

- العناية بالأسلوب؛ غلبة اللفظ على المعنى.
- وتقوم المقامة على عناصر ثلاثة هي:¹⁴
- الزاوية**: وينقلها من مجلس تحدث فيه الحادثة.
- المُكدي**: أو البطل وتدور المقامة كلّها حوله، وتنتهي بانتصاره في كلّ مرة.
- الملحة**: أو النكتة أو العقدة، وتُحاك حولها المقامة وقد تكون هذه الملحة بعيدة عن الأخلاق الكريمة، وقد تكون في بعض الأحيان غثّة أو سمجة.

3. أدب السخرية في منهاج اللغة العربية للسنة الرابعة متوسط: (دراسة تطبيقية)

كتاب اللغة العربية للسنة الرابعة متوسط (الجيل الثاني)، مرجع بيداغوجي معتمد من طرف وزارة التربية الوطنية عام 2019م، وقد انبرى على إعداده لجنة متكوّنة من مجموعة من الأساتذة من مختلف التخصصات والدرجات العلمية، ويضمّ الكتاب ثمانية مقاطع تعليمية، وهي: قضايا اجتماعية، الإعلام والمجتمع، التضامن الإنساني، شعوب العالم، العلم والتّقدّم التكنولوجي، التلوث البيئي، الصناعات التقليدية، الهجرة الداخلية والخارجية.

إنّ الاهتمام ببناء محتوى تعليمي متنوّع، يعني تنويع النصوص القرائية من حيث الأجناس الأدبية المختلفة، كما يظهر تمازج الأدب العربي بالأدب الجزائريّ جليّاً، ممّا يعطي للمتعلّم صورة عن انفتاح المحتوى من حيث الشكل والمضمون.

1.3 جماليات نصّ الضحية والمحتال:

نصّ الضحية والمحتال مأخوذ من مقامات "بديع الزمان الهمذاني"، والذي نعرض تعريفا موجزا له:
-بديع الزمان الهمذاني (358/ 398هـ): هو أحمد بن الحسين أبو الفضل، الملقب ببديع الزمان الهمذاني، ولد في "همذان"، وهي مدينة جبلية في إيران سنة 358هـ، واستقرّ في خراسان وتوفي بمدينة "هراة" سنة 398هـ، كان معلّمه الأول "أحمد بن فارس"، ثمّ "الصاحب بن عباد" غلاما، الذي لزم دار كتبه، يقرأ ما يرغب، وهب ذاكرة قويّة وحافظة نادرة.¹⁵ و"بديع الزمان هو أوّل من أعطى كلمة مقامة معناها الاصطلاحيّ، إذ عبّر بها عن مقاماته المعروفة، وهي جميعها تصوّر أحاديث تُلقى في جماعات."¹⁶ ويغلب على مقامات بديع الزمان موضوع "الكُدية"، والكُدية هي التّسوّل واستجداء الناس، وبعبارة أخرى "حرفة السّائل الملحّ" التي يحتال بها على النّاس ببيانها العذب لاستخراج الدراهم من جيوبهم. ونصّ "الضحية والمحتال" نصّ قرائي يندرج ضمن المقطع التعليمي الأوّل (قضايا اجتماعية)، مأخوذ عن مقامات الهمذانيّ، لبديع الزمان الهمذاني، يتموقع على الكتاب بين الصفحة 16-17، يُعالج قضية

اجتماعية بأسلوب ساخر، حاول من خلالها الكاتب تسليط الضوء على ظاهرة غريبة عن المجتمع، ظهرت نتيجة أوضاع اقتصادية سادت العصر العباسي، وهي ظاهرة (الكُدية) أو التسوّل، والتي يعرضها في قالب قصصي تطبعه مجموعة من الخصائص الفنية، يبتغي من خلالها قيمة تربوية ذات صلة بمحاربة أسباب الظاهرة.

ويتميّز نص "الضحية والمحتال" بمجموعة من الخصائص الفنيّة القصصية والجماليات اللغوية، التي تهدف إلى بلوغ قيمة تربوية ذات صلة بالمقطع التعليمي (قضايا اجتماعية)، ومن جملة الخصائص:

أ- مفارقة العنوان:

يكشف عنوان الخطاب "الضحية والمحتال" عن وحدتين لغويتين متناقضتين، وهما متنافرتين تثيران اللبس عند القارئ، وتستدرجه لاكتشاف العلاقة بينهما من خلال تساؤل جوهري: ما الذي فعله المحتال بضحيته؟

- "الضحية": في دلالتها اللغوية تحمل معنى: "كلّ من أصابه سوء أو شرّ، نتيجة تعرّضه للأذى والمصائب نتيجة أهوائه".¹⁷ وهي شخصية بسيطة ساذجة، منقادة بعواطفها وتأخذ الأمور بسطحية، غير متوقّعة للنتائج، ممّا يجعلها سهلة المنال، وقابلة للتلاعب بها إذا ما تمّ اكتشاف نقاط ضعفها.

- "المحتال": لفظ على وزن (اسم الفاعل) من الفعل (احتال): وتعني من يلجأ إلى أساليب الاحتيال والمراوغة لتحقيق أهدافه، وشخصية المحتال لها القدرة على تدبير الحيلة ونسج خيوطها حول الضحية وإحكامها، بخلق مجموعة من المؤثرات النفسية والمادية لإغراء الضحية للإيقاع بها.

إنّ "المحتال" شخصية لها قدرات عقلية كالفطنة والذكاء، والنفسية كالحُبث والمراوغة، تسعى لتحقيق غاياتها بكلّ الوسائل المتاحة، كما توحى سلوكياتها بالقدرة على الخداع، لأنّها تلجأ لأساليب تتظاهر فيها بالبراءة وحسن السريرة والغفلة بينما تتسج خيوطها بإحكام حول الضحية بإحكام لتتمكّن منها.

وفي عنوان "الضحية والمحتال" غموض نسبيّ حول طبيعة الشخصيتين والعلاقة التي تجمعهما في النصّ، سرعان ما يتكشف للمتعلّم؛ ليعرف الظروف التي جمعتهم وخصائص كلّ منهما ونوازعهما والنهاية التي آلت إليها العلاقة.

ب- لغة القصة:

إنّ لغة نص "الضحية والمحتال" تتميّز بمستوى مختلف عمّا عهده المتعلّم في النصوص القرائية التي رافقته طيلة مشواره الدراسي؛ حيث يلجأ الراوي إلى المراوغة اللفظية، باعتماد الزخرفة التي يطغى عليها بديع الجناس والسجع، وقد وردت في النصّ (20) عشرون عبارة تحتوي السجع، ونذكر منها قوله:

"اشتھیت الأزد وأنا ببغداد"، "یسوق بالجد حماره ویطرف بالقد إزاره"، "ظفرنا والله بصید وحيّاك الله أبا زيد"، "من أين أقبلت؟ وأين نزلت؟ ومتى وافيت؟"، "لست بأبي زيد ولكني أبو عبيد" ... وتتوالى العبارات المسجوعة إلى نهاية القصة بقوله: "كم قلت لذلك القريد: أنا أبو عبيد وهو يقول أنت أبو زيد". وأما الجنس فقد رصدناه في عبارة واحدة في مستهل حديث "عيسى بن هشام" قوله: "وليس معي عقد على نقد".

إنّ اهتمام "الهمذاني" بالمحسنات اللفظية وفي مقدّمها "السجع" جعله يصيغ من الألفاظ ما يحقّق هذه الغاية، ممّا أثرى النصّ بمفردات غريبة، وهي (20) عشرون كلمة، يغلب عليها حقل "الطعام": ونذكر منها:¹⁸

الكلمة	دالتها
الأزد	الطعام
الجوديات	نوع من الطعام
أوراق الرقاق	خبز رقيق
ماء السّماق	مرق اللحم
تنوّره	طواجينه
اللوزينج	حلو من اللوز

ويظهر الرّاي (عيسى بن هشام) من خلال استعماله لمعجمه اللغويّ؛ مفتتنا بالطعام مُشتهٍ له، يعرف صنوفه بارع في وصفه وأسلوب عرضه على ضيفه، يصيغ عباراته تارة بالسّجع وأخرى بالجناس، ممّا جعله يُحيط ضيفه بهالة اهتمامه ليحكم حيلته ويبلغ هدفه.

ج- شخصيات القصة:

في خطاب "الضحية والمحتال" شخصيتان رئيسيتان هما "عيسى بن هشام" و"السّوادي": -الرّاي: وهي شخصية البطل في أغلب مقامات الهمذانيّ، عُرف بالخداع وبراعته تخلّصه من المواقف الصّعبة، "يظهر في شكل أديب متسوّل، يروي مغامراته وأخباره راوٍ واحد هو عيسى بن هشام".¹⁹ وهي شخصية خيالية من نسج صاحب المقامة، وعيسى بن هشام: هو أولى الشخصيات الرئيسية لديها، فهو الشخص المخادع في تلك المقامة، حيث أنه يمثل الجانب السيئ منها.

وشخصية "عيسى بن هشام" شخصية طفيلية، تترصد ضحيتها من خلال ملازمتها الأسواق، لتبحث عن فريستها، فتحيطها بوابل من الأسئلة التي تتلاعب فيها بضحيتها، وتوهمها بحسن السريرة ونبل الخلق.

-السوداي: هو الشخصية "الضحية"، على الرغم من كون جانبه الطيب هو ما أوقعه في الفخ، إلا أنه يمثل أيضا الغباء، والجشع، والطمع، منقاد لأهوائه مُلَبِّ لها.

وتتشكل شخصية "السوداي" رجلاً يسمى "أبو عبيد"، وهي شخصية من سواد أهل العراق (من قراه وبواديه).

-الشوّاء: شخصية ثانوية، يتضمن جانب المعاقب، فهو من أجبر السوداي على دفع المال بعد مغادرة (المحتال).

-السّقاء: ظهوره في المقامة كان حُجّة لعيسى بن هشام حتى يهرب من السّوداي.

د-مكان القصة:

للمكان حضور بارز في كلّ حدث قصصي، والمقامة لا تستغني عن هذا الفضاء الذي تتحرك فيه الشخصيات، وقد اختار "الهمداني" لشخصيات "الضحية والمحتال" مكاناً عاماً وهو "السوق".

وللمكان علاقة تفاعلية مع الشخصية، وهو قوّة مؤثرة على سلوكها، لأنّها تتحرك فيه وتتأثر به، و"السوق" في الخطاب مكان مفتوح لممارسات مختلفة للأفراد، ومنها الكُدية والاستجداء، لأنّها أهمّ موضوعات المقامة الهمدانية وهو ما جعل (السوق) أفضل مكان لنسج أحداث القصة.

إنّ "السوق" مقصد الكثير من الناس على اختلاف مشاربهم وطبقاتهم، ولا بدّ لمن يدخله أن يكون ذا مال؛ وفير أو نزير، ليقضي حاجة له، وقد جعله "الهمداني" مسرحاً لأحداث قصته، حين يُقبل الراوي "عيسى بن هشام" (المحتال) على رجل من الريف العراقيّ (السّوداي) أو (أبو عبيد) ليكون وسيلته للحصول على ما يشتهي من الطّعام، كونه من أهل المكان والثاني نزل به فقط، ويظهر ساذجاً بسيطاً غير مُدرك لما ينتظره.

لقد هيأ الهمداني أرضية مناسبة لموضوعه، ومُنطلقاً واقعياً للكثير من الوقائع الاجتماعية والسلوكيات المألوفة أو الغريبة، فكان مسرحاً مناسباً لجمع شخصياته وسيرورة أحداث "قصته".

هـ-الحوار:

إنّ ما يُلفت انتباه المتعلّم في نص "الضحية والمحتال" هو سطوة الحوار القصصي بين "عيسى بن هشام" (المحتال) و"السوداي" (الضحية).

وينبني الحوار بين الشّخصيتين على ألفاظ وأساليب تجلب انتباه المتعلّم وتخرق قلبه، وذلك عن طريق "السجع"، الذي هو الصّبغة التي ميّزت عصر "الهمداني"، وهو صورة من صور الكفاءة والقدرة على

استخدامه والالتزام به، وقد ساعده في ذلك حافظته وبديته وذكاءه وإحساسه الدقيق باللغة، ومترادفاتها، وأبنيتها، واستعمالاتها المختلفة.²⁰ ويرد السجع في النص في جمل قصيرة خفيفة في غير تكلف، تتناسب مع فيض لغوي مصبوغ بروح الفكاهة لبلوغ غاية محدّدة.

ويتدرّج الحوار بين الشخصيتين الرئيسيتين كالتالي:

-مرحلة الانطلاق: بإظهار "عيسى بن هشام" الورع والتقوى وحسن المعاملة، وذلك في طريقة استمالة "ضحيتة" بادعائه معرفته بقوله: "حيّاك الله أبا زيد"، فكان رد الضحية بقوله: "لست بأبي زيد ولكني أبو عبيد"، ومعرفته والده بالسؤال على حاله قوله: "كيف حال أهلك؟ أشاب كعهدي أم شاب من بعدي؟... إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"، وهو في قوله: "حيّاك الله أبا زيد... من أين أقبلت؟ وأين نزلت؟ ومتى وافيت؟ وهلم إلى البيت... هلم إلى البيت نُصب غداءً أو إلى السوق نشتر شواءً، والسوق أقرب وطعامه أطيب." غير مُنكر لمعارفه، وواصل لصديقه من خلال ابنه، وليظهر له عمق العلاقة التي جمعتهم يعرض عليه الغداء بالبيت، وهو غير مضمون، ثم يثيره بفكرة الشواء في السوق، وهو متوقّر ومتاح، ممّا يجعل "ضحيتة" تنقاد طوعية له.

-مرحلة التحول: وينحى الحوار مرحلة جديدة من خلال حسن الضيافة واللباقة، وقد تقنّن "عيسى بن هشام" في ضيافته لـ "ضحيتة"، حين طلب صنوف الطّعام مرحلة بمرحلة، فبدأها بوجبة دسمة، أتبعها بالتحلية، ليختتمها بالماء البارد.

-مرحلة الختام: ويعود الحوار في نهاية الأحداث إلى نقطة الانطلاق بعبارة "كم قلت لذلك الفريد: أنا أبو عبيد وهو يقول أنت أبو زيد."

2.3 القيمة التربوية للنص:

لقد أولت المناهج الحديثة اهتماما بالغا في مجال التعليم للقيم التربوية، فلم يعد بناء شخصية المتعلّم في الرؤية الحديثة بناء معرفيًا فقط، بل صارت المناهج تُعنى بالجوانب المهارية والانفعالية أيضا، لإحداث توازن في مكونات شخصية المتعلّم، ولعلّ بناء المحتويات الدّراسية في صورتها التي تُعرف بـ (مناهج الجيل الثاني)، صار يلبي مطلب "القيم" بكلّ أنواعها؛ الوطنية، والأخلاقية، والاجتماعية... التي تمكّن المتعلّم من اكتساب مجموعة من القواعد والقوانين والأهداف التي توجّه وتنظّم علاقة المتعلّم بعالمه المادي والمعنوي.

إنّ "القيم" من مرتكزات إعداد المناهج التعليمية وأهم أهدافها، فهي تسعى لتحقيقها إجرائيا في سلوك المتعلّم، ودفعه للاتجاه القويم بتوجيهه إلى الخير والفضيلة وإبعاده عن الرّبع والانحراف. وإذا كانت القيمة

حسب المعجم الفلسفي "تطلق على كل ما هو جدير باهتمام المرء وعنايته، لاعتبارات اقتصادية، أو سيكولوجية، أو اجتماعية، أو أخلاقية، أو جمالية"²¹، فإن القيمة التربوية تعني مجموع المبادئ والاتجاهات والصفات الإيجابية المراد غرسها في نفوس الناشئة، ضمن بيئة تعليمية، بطريقة منظمة، تكفل لهم تحديد مواقفهم واتجاه بيئتهم وممن يحيطون بهم.

إن اعتماد المناهج التعليمية في إكساب المتعلمين القيم الإيجابية، وتمثلها في نفوس الناشئة مستقبلاً باعتماد الأسلوب القصصي، يأتي استجابة واضحة لخصائصهم العقلية والنفسية، كون المتعلم في مرحلة التعليم المتوسط قد بلغ مرحلة "المراهقة" والتي تتميز بالجنوح إلى الخيال والمغامرة وحتى التأليف (القصة)، لذلك نجد أن إدراج نص "الضحية والمحتال" في منهاج السنة الرابعة متوسط يأتي إشباعاً لحاجاته القرائية واللغوية، وتنمية لميولاته النفسية وتعزيزاً لاتجاهاته الأخلاقية (التربوية).

عرض "الهمذاني" طُرفته في قالب قصصي، تدرج من خلال عرض أحداثها لبلوغ غاية الإمتاع والطرفة من جهة، والسخرية من الأوضاع السائدة في المجتمع من جهة أخرى، وهو وضع "التسؤل" الذي لا يعرف حدود الزمان والمكان، فقد صار مهنة بعض الأفراد في المجتمع، تُسخر لها الوسائل المادية (من مظهر البؤس، واصطحاب الرضع، واستخدام النساء لإثارة العواطف) والمعنوية (الاستعطاف بالدعاء للوالدين بالرحمة، وللأبناء بالتوفيق والنجاح، وللمستعطف بالصحة... وغيرها)، وهو واقع يعايشه المتعلم بسبب الظروف الاجتماعية والاقتصادية، التي تؤول بالأفراد إلى استجداء الناس في مختلف الأماكن العمومية، وفي المقابل لم تعد الظاهرة مثار اهتمام الناس بقدر استهجانهم لها، لأن انتشارها أحدث خلا في الممارسات الطبيعية للأفراد.

إن خطاب "الضحية والمحتال" يستهدف قيمة تربوية جوهرية، وهي "ضرورة محاربة ظاهرة التسؤل"، كونها ظاهرة تنتافى والقيم الاجتماعية والأخلاقية مما يحدث خلا في موازين النظام الاجتماعي للمتعلم، ويحاول الخطاب عرضها بأسلوب ساخر ليلفت انتباهه إلى صور الاحتيايل المختلفة في محيطه، وتأثيرها على العلاقات بين الأفراد وبيان أبعادها؛ الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية.

4. خاتمة:

إن إدراج الأدب الساخر في المناهج التعليمية لمرحلة التعليم المتوسط، يعدّ استجابة واضحة لخاصية التنوع الذي اعتمده مؤلفو كتاب اللغة العربية، ليتمكن المتعلم من التعرف على الأجناس الأدبية العربية المتنوعة بين القديم والحديث، ويكتشف خصائصها الشكلية والجمالية، ويكتسب منها القيم الإيجابية،

والخطاب الساخر في منهاج السنة الرابعة من التعليم المتوسط ترجمة إجرائية للإصلاح الذي مسّ منهاج المرحلة.

إنّ نص "الضحية والمحتال" الذي ينتمي لفنّ المقامة يعالج قضية "التسوّل"، التي صارت مهنة لبعض أفراد المجتمع، وهو يحمل بين ثناياه عديد القيم الجمالية والتربوية التي يُراد إكسابها للمتعلم، وعليه يمكننا الوقوف على أهمّ النتائج التي توصل إليها الدّراسة، ونوردها كما يلي:

- أدب السخرية اتجاه إبداعي في الكتابة، يحمل على عاتقه علاج القضايا الاجتماعية.
- أدب السخرية انتفاضة أدبية على واقع اجتماعي أو اقتصادي أو سياسي بأسلوب فكاهي طريف.
- المقامة فنّ أدبي ساخر يُعرض بأسلوب يطبعه السرد القصصي المشوّق.
- المقامة فنّ يستجيب لمعالجة القضايا الاجتماعية.
- منهاج اللغة العربية للسنة الرابعة من التعليم المتوسط منفتح على الأدب الساخر لأغراض تربوية.
- منهاج اللغة العربية للسنة الرابعة متوسط يسعى لغرس القيم السليمة في نفوس الناشئة.
- الأسلوب القصصي المشوّق لنصّ "الضحية والمحتال" يلفت انتباه المتعلم إلى خطورة ظاهرة "التسول".

-يكتنز نصّ "الضحية والمحتال" على طاقة لغوية تجعله ينمي المتعة القرائية والحسّ التذوّقي لفنّ المقامة (القصصي).

-الخصائص اللغوية (السجع والجناس) تصبغ النصّ بلمسة فنية لغوية تثري قاموس المتعلم من جهة وتمتّع ذوقه من جهة أخرى.

-يستقي المتعلم من النصّ خصائص البنية القصصية ليتمكّن من الكتابة الإبداعية.

5. الإحالات:

¹ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د ط)، (د ت)، ج4، ص352.

² أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج3، ص133.

³ الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تح: صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، 2009، ص401، 402.

⁴ حامد عبده الهوال، السخرية في أدب المازني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982، ص15.

- ⁵ راغب نبيل، الأدب الساخر، الأعمال الخاصة مهرجان القراءة للجميع، جمهورية مصر العربية، 2000، ص13.
- ⁶ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د ط)، (د ت)، ج12، ص498.
- ⁷ محمد رشدي حسن، أثر المقامة في نشأة القصة المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، جمهورية مصر العربية، 1984، ص14.
- ⁸ محمد سليمان الأشقر، معجم علوم اللغة العربية عن الأئمة، دار النفائس، الأردن، 2006، ص401.
- ⁹ أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، مصر، (د ط)، (د ت)، ص243.
- ¹⁰ شوقي ضيف، المقامة، دار المعارف، مصر، ط3، (د ت)، ص09.
- ¹¹ مصطفى خليل الكسواني وآخرون، في تذوق النص الأدبي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010، ص115.
- ¹² محمد سليمان الأشقر، معجم علوم اللغة العربية عن الأئمة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1995، ص401.
- ¹³ شوقي ضيف، المقامة، ص03.
- ¹⁴ مصطفى خليل الكسواني وآخرون، في تذوق النص الأدبي، ص118.
- ¹⁵ مصطفى خليل الكسواني وآخرون، في تذوق النص الأدبي، ص117.
- ¹⁶ شوقي ضيف، المقامة، ص3.
- ¹⁷ قاموس المعاني الجامع. (النسخة الإلكترونية)، <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar>
- ¹⁸ ينظر: حسين شلوف وآخرون، كتاب اللغة العربية السنة الرابعة من التعليم المتوسط، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، 2019، ص17.
- ¹⁹ سامي يوسف أبو زيد، تذوق النص الأدبي، دار المسيرة، عمان، الأردن، 2012، ص190.
- ²⁰ شوقي ضيف، المقامة، ص32.
- ²¹ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، الجزء 2، ص212.
- 6. قائمة المراجع:**

1. ابن فارس، أحمد، (د ت)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
2. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (د ت)، لسان العرب، بيروت، دار صادر.
3. أبو زيد، سامي يوسف، (2012)، تذوق النص الأدبي، عمان، دار المسيرة.
4. الأشقر، محمد سليمان، (2006)، معجم علوم اللغة العربية عن الأئمة، الأردن، دار النفائس.
5. الأصفهاني، الراغب، (2009)، مفردات ألفاظ القرآن، تح: صفوان داوودي، دمشق، دار القلم.
6. حسن، محمد رشدي، (1984)، أثر المقامة في نشأة القصة المصرية، جمهورية مصر العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
7. الزيات، أحمد حسن، (د ت)، تاريخ الأدب العربي، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر.
8. شلوف، حسين شلوف، وآخرون، (2019)، كتاب اللغة العربية السنة الرابعة من التعليم المتوسط، باتنة، دار الشهاب.
9. صليبيا، جميل، (1982)، المعجم الفلسفي، بيروت، دار الكتاب اللبناني.
10. ضيف، شوقي، (د ت)، المقامة، مصر، دار المعارف.
11. قاموس المعاني الجامع. (النسخة الإلكترونية)،
<https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar>
12. الكسواني، مصطفى خليل وآخرون، (2010)، في تذوق النص الأدبي، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع.
13. نبيل، راغب، (2000)، الأدب الساخر، جمهورية مصر العربية، الأعمال الخاصة مهرجان القراءة للجميع.
14. الهوال، حامد عبده، (1982)، السخرية في أدب المازني، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.